الفصل الأول

وسائل الربط النحوي (السبك)

مدخل : وسائل الربط النحوي (السبك) تعريفها وأقسامها وجهود الباحثين فيها

إنّ هـذه الوسـائل تجمـعُ بـين الـروابطِ اللغويـةِ الشـكليةِ والترابـطِ الـدلالي المضموني للنصِّ ؛ فهـي تُوحِّـدُ على الحقيقـة بـين السـبك والحبـك ، اللـذين يمثلان أهمَّ معيارين مـن معـاييرِ النصـيةِ ومـن هـذه الجهـةِ أصـبح « التماسـكُ النصيُّ أهمَّ شيءٍ بالنسبةِ للتحليلِ النصيِّ حتـى أنَّ بعـضَ البـاحثينَ عَـدَّهُ شـرطًا ضروريًا وكافيًا للتَعـرفِ على مـا هـو نـصٌّ ، وعلـى مـا هـو لـيس بنصٍّ »[1]. ولتحقيق النصية لكلام ما يجب أن يكون معتمدًا على وسائل تخلق هذه النصية « تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة »[2].

ونظرًا لحداثة علم النص ما تزال إضافات الباحثين مستمرة في نوع الوسائل وعددها التي تجعل من النص متماسكاً ، فعلى الرغم من أن هذه الوسائل أقيمت على اللغة الإنجليزية ، نجد جهوداً قيمة للدارسين العرب في تطبيق هذه النظريات على النص العربي بشتى فنونه .

---

(١) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، الدكتور صبحي إبراهيم الفقي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ـ مصر ، د . ط ، ٢٠٠٠م : ٩٩/١ .

(٢) لسانيات النص : ١٣ .

أما عدد هذه الوسائل ، فاختلفت قلة وكثرة من باحث لآخر (فهاليداي ورقية حسن) حصراها بخمس وسائل هي : « المرجعية (الإحالة) ، الاستبدال ، الحذف ، والعطف (الربط) ، التماسك المعجمي (التكرار ، التضام) »[١] .

وقد زاد كريستال على الوسائل الخمس التكرار[٢]، وجعل له مصطلح (Repeated+ ed) وأضاف براون ويول ، العطف والسببية والزمنية ، وجعل أدواتها إلى ما هو داخل النص وما هو خارج النص[٣] .

وقد قسم (دي بوجراند) الوسائل إلى ثمان وسائل ، هي[٤] :

إعادة اللفظ (Recurrence) ، (التكرار) .

التعريف (Definiteness) .

اتحاد المرجع : (CO-Reference) ، (الإحالة الخارجية) .

الإضمار بعد الذكر ، (Anaphora) (إحالة ضميرية سابقة) .

الإضمار قبل الذكر ، (Cataphora) (إحالة ضميرية لاحقة) .

الإضمار المرجع متصيد ، (Exophora) (إحالة ضميرية خارجية) .

الحذف : (Ellipsis)

الربط : (Junction)

يلاحظ في هذا التقسيم أن للإحالة حظها ؛ إذ الحقيقة في أربع وسائل منها أنَّها إحالية ؛ وهي : اتحاد المرجع والإضمار بعد الذكر والإضمار قبل الذكر ، والإضمار لمرجع متصيد[٥] .

---

(١) (Cohesion in English : 40) نقلاً عن : لسانيات النص : مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ـ المغرب ، ط/٢ ، ٢٠٠٦م : ١٦-٢٤ ، وعلم اللغة النصي ١١٦/١ .

(٢) يُنظَر : علم اللغة النصي : ١١٨/١ .

(٣) يُنظَر : المصدر نفسه : ١١٨/١ .

(٤) يُنظَر : النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة : الدكتور تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ـ مصر ، ط/٢ ، ٢٠٠٧م : ٣٠١ .

(٥) يُنظَر : نحو النص بين الأصالة والحداثة : تأليف : الدكتور : أحمد محمد عبد الراضي ، مكتبة الثقافة الدينية : مصر ، القاهرة ، ط/١ ، ٢٠٠٨م : ١٠٧ ، ١٢٧ .

كما يمكن الجزم أن إعادة اللفظ عند (دي بوجراند) هي من الإحالة ، إذ يقول : « هي التكرار الفعلي للعبارات ويمكن للعناصر المعادة أن تكون هي بنفسها ، أو مختلفة الإحالة أو متراكبة الإحالة ، ويختلف مدى المحتوى المفهومي الذي يمكن أن تنشطه هذه الإحالات بحسب هذا التنوع »[1]

كما يلاحظ في تقسيم (دي بوجراند) أنَّه أولى الإحالة الضميرية اهتمامه ففي الداخلية منها الإضمار بعد الذكر ، وهي إحالة قبلية ، والإضمار قبل الذكر ، وهي إحالة بعدية ، أما الخارجية فالإضمار لمرجع متصيد .

أما الإحالات غير الضميرية فهي عنده ضمن (إعادة اللفظ واتحاد المرجعية ، فوسائل التماسك عنده أربعة إذا ما نظرنا إلى أصل تقسيمه للإحالة)

وهنا لا يسلم بالقول إن (دي بوجراد) « جعل هذه الوسائل خاصة ببنية النص اللغوي ؛ ولذا جاءت في مقابل الحبك أو الالتحام وهو الربط الدلالي أو المعنوي لأجزاء النص »[2] ؛ وذلك لسببين ظاهرين عند التأمل في وسائل التماسك عنده وما قدم لذكرها ، فعندما شرع في الكلام عن وسائل التماسك ـ السبك عنده ـ ذكر أنَّه « سيحاول أن يحيط بصفة عامة بأهم وسائل السبك (Cohesion) وستكون المعايير التي استعملها هي ما تسهم به هذه الوسائل في كفاءة الصياغة »[3]

فعبارة (كفاءة الصياغة) يبدو أن قصده منها الصياغة اللفظية السطحية ؛ لأنَّ ما أورده من وسائل كانت منصبة كلها على اللفظ والبنى السطحية باستثناء ما يلزم منه ذكراً للمحتوى المفهومي أو العالم المفهومي ففي إعادة اللفظ قال : « ويختلف مدى المحتوى المفهومي الذي يمكن أن تنشطه هذه الإحالات بحسب هذا التنوع »[4]

---

(١) النص والخطاب والإجراء : ٣٠١ .

(٢) نحو النص بين الإصالة والحداثة : ١٢٧ .

(٣) النص والخطاب والإجراء : ٣٠١ .

(٤) المصدر نفسه : ٣٠١ .

وعند كلامه عن الربط ، قال : « هو يتضمن وسائل متعددة لربط المتواليات السطحية بعضها ببعض بطريقة تسمح بالإشارة إلى العلاقات بين مجموعات من معرفة العالم المفهومي للنص »[1]

فعلى هذا هو لم يرد من (cohesion) مصطلح الحبك ، الذي يختص بالاستمرار الدلالي للنص ؛ وإنما قصد به السبك الذي يختص بالاستمرار الظاهري للنص ، وفي هذا المقام تجدر الإشارة إلى أن (دي بوجراند) قد دافع عن السطحية واعتذر لها بعد نقله ميول (بولي وبير) إلى تناول وسائل الترابط على أنَّها إشارات سطحية وملاحظة (جيري مورجان) هذا الميل حتى عند (هاليداي ورقية حسن) ، فقال : « غير أن (جيري مورجان) قد يكون شديد القسوة ، فلَربَّما قلنا إن الكلمات تشير إلى ما تشير إليه الكلمات الأخرى على شرط ألا تتجاوز ذلك إلى دعوى أننا لا نتناول إلا الكلمات »[2]

لذا يقول الدكتور (تمام حسان) : « والطرق المذكورة من قبل من وسائل السبك تؤدي إلى الالتحام في النص من الناحية المفهومية كذلك »[3] مما يعني أنَّه وقف على ما ذهب إليه (دي بوجراند) على الحقيقة .

جهود الباحثين العرب :

للباحثين العرب جهود ما تزال متواصلة في توظيف وسائل التماسك التي ذكرها الباحثون الغربيون لمعالجة النصوص العربية ، وقد كان السبق للدكتور سعد مصلوح في (نحو أجرومية للنص الشعري) الذي قدم ترجمة لمصطلحي السبك (Cohesion) والحبك (Coherence) ، فتكلم عن وسائل السبك وهي عنده « التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص »[4] .

---

(١) النص والخطاب والإجراء : ٣٠١-٣٠٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٠٠ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٠ .

(٤) نحو أجرومية للنص الشعري ـ دراسة في قصيدة جاهلية ، الدكتور سعد مصلوح ، فصول مجلة النقد الأدبي قضايا الإبداع : ج/١ ، المجلد/١٠ ، العددان الأول والثاني : يوليو ١٩٩١م ، أغسطس ١٩٩١م : ١٥٤ .

فيقول : « يجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو الاعتماد النحوي »[1] وذكر أن الحبك « يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص (Textual world) ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم (Concepts) والعلاقات (Relations) الرابطة بين هذه المفاهيم »[2] .

وكان للدكتور (صلاح فضل) في كتابه « بلاغة الخطاب وعلم النص »[3] إسهامٌ في هذه الوسائل فقد ذكر أن علماء النص ميزوا بين نوعين من أنواع الترابط ، هما الترابط الموضوعي الشرطي للنص ، والتماسك الوظيفي ويشيرون إليها بمجموعة من الأدوات الرابطة مثل (لأنَّ ، وعليه ، ونتيجة لذلك ، ولهذا ... إلخ) أما التماسك الوظيفي فيرى أنَّه أصعب تحديداً بدرجة كبيرة ، وهو وظيفي ، لأنَّه يحدث عندما يعزى إلى أحد الأقوال في النص وظيفة محددة بالنسبة لقول آخر سابق عليه »[4]

وذكر أن علماء النص : « يولون التماسك عناية قصوى . . . ويشرحون العوامل التي يعتمد عليها الترابط على المستوى السطحي للنص ؛ مما يتمثل في مؤشرات لغوية ، مثل : علاقات العطف والوصل والفصل والترقيم ، وكذلك أسماء الإشارة وأدوات التعريف والأسماء الموصولة ، وأبنية الحال والزمان وأسماء المكان ، وغير ذلك من العناصر الرابطة التي يعني علم اللغة بتحديدها »[5]

وقد أسهم الدكتور (محمد حماسة عبد اللطيف) بإقرار بعض الأدوات التي رأى فيها وسائل للتماسك ، مثل : الموقع الإعرابي والحالة الإعرابية ، والعلاقة

---

(١) حبك النص : ١٥٤ .

(٢) المصدر نفسه : ١٥٤ .

(٣) بلاغة الخطاب وعلم النص ، تأليف : الدكتور صلاح فضل ، سلسلة عالم المعرفة (١٦٤) ، الكويت ، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م : ٢٦٢ .

(٤) بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٦٢ .

(٥) المصدر نفسه : ٢٦٣ .

الإعرابية ، بل إنَّه عدَّ « كل ما يؤدي إلى الوضوح وعدم اللبس يؤدي بالضرورة إلى التماسك والترابط »[1]

كما أن الدكتور (محمد العبد) جعل من أدوات التماسك الإسناد إلى متقدم ، والارتباط السببي ، والتخصيصي ، والارتباط الزمني ، والمقابلة ، والسؤال والإجابة ، والإضراب وغيرها من الأحداث[2] ، بالإضافة إلى إثباته الوسائل الخمس التي ذكرت سابقاً[3] .

وقد قسم الدكتور (صبحي إبراهيم الفقي) هذه الوسائل إلى قسمين[4] :

- الأدوات الخارجية ، ويَقصدُ بها ما كان خارجاً عن النص من (سياق أو إحالة خارجية) بجامع دلالي ، بين الرابط والمربوط .
- الأدوات الداخلية : وهو كل ما يكون داخل النص وعدَّ منها ما كان شكلياً ودلالياً وما كان مشتركاً بين الشكلي والدلالي ، فذكر من الشكلية (العطف والتكرار والمعجم والرتبة) ، ومن الدلالية (المرجعية والإبدال والحذف والمقارنة والتكرار بالمعنى والترادف والانضواء والسببية والزمنية والتعميم والتوكيد والإضراب والعطف) ، وكان المشترك هو العطف بين الشكلي والدلالي .

---

(١) بناء الجملة العربية ، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب ، القاهرة ـ مصر ، د . ط ، ٢٠٠٣م : ٩٢ .

(٢) يُنظَر : اللغة والإبداع الأدبي ، الدكتور محمد العبد ، الأكاديمية الحديثة لكتاب الجامعي ، دار المعرفة ، بالقاهرة ، ط/٢ ، ٢٠٠٧م : ٤٠-٤٣ .

(٣) يُنظَر : حبك النص : منظورات من التراث العربي ، الدكتور محمد العبد ، بحث منشور في مجلة الدراسات اللغوية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، مج/٣ ، عدد/٣ ، شهر أكتوبر ـ ديسمبر ٢٠٠١م : ١٣٠

(٤) يُنظَر : علم اللغة النصي : ١/١٢٠